



دور جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة*

د. محمد أحمد شاهين**



* تاريخ التسليم: ٢٠ / ٧ / ٢٠١٣ م . تاريخ القبول: ٢٠ / ١ / ٢٠١٤ م.
** أستاذ مشارك في الإرشاد النفسي والتربوي/ عميد شؤون الطلبة/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

ينطلق مفهوم التنمية عند الشعب الفلسطيني من ضرورة حشد جميع الطاقات البشرية والمادية للنساء والرجال وتوجيهها نحو التنمية، وتلبية حاجات المجتمع الفلسطيني بكل شرائحه وفئاته، وذلك بأقل التكاليف، وبأسرع وقت ممكن، ولما كانت الأسرة هي النواة الإنتاجية الفاعلة في المجتمع، والمرأة من أهم أركان هذه الأسرة، فلا بد من تفعيل دورها وإعطائها حقها وتشجيعها ودعمها، من أجل النهوض بالمجتمع الفلسطيني إلى مرحلة متقدمة من الاستقرار الأمني، والاكتفاء الذاتي، والاستقرار الاقتصادي والسياسي.

إن تعليم المرأة وتمكينها في المجتمع الفلسطيني يعدُّ أمراً ضرورياً لتحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ومساعدتها على التكيف مع المتغيرات الحادثة من حولها ولحمايتها من الاستغلال. إذ إن توفير التعليم العالي للمرأة، وتيسيره لها في ظل الظروف الخاصة التي يعيشها مجتمعنا الفلسطيني والمرأة الفلسطينية خاصة، يفتح أمامها الفرص الوظيفية، ولا يجعل الفرص المتوافرة حكراً على من كانت ظروفهن الاقتصادية والاجتماعية في مستوى معين حتى تستحق أن تنال حقوقها والقيام بدورها.

ولعل جامعة القدس المفتوحة كانت الخيار الأمثل، حيث تعدُّ من الجامعات الفلسطينية الرائدة والمساهمة في تمكين المرأة الفلسطينية، فاستخدام التعليم المفتوح في التعليم الجامعي يزيل معوقات خروج المرأة من البيت وانتظامها في الصفوف الجامعية، فأصبح بالإمكان الوصول بالتعليم إلى البيوت وأماكن العمل، وبالتالي أصبحت إمكانية التحاق المرأة بالتعليم في ازدياد ملحوظ، وأصبح التعليم المفتوح هو الأسلوب الأمثل للتغلب على المعوقات كافة، التي تواجه المرأة سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية، وما يفرضه عليها تعدد الأدوار من مسؤوليات والتزامات.

لقد قدمت جامعة القدس المفتوحة تسهيلات للمرأة ما كانت لتقدمها لها جامعة أخرى، حيث تمكنت المرأة من خلال هذا النظام التعليمي المفتوح أن توفق بين الدراسة والعمل والأسرة، وأن تمتلك المهارات والمعارف والخبرات التي تؤهلها للدخول في سوق العمل بنجاح وتميز. ويؤكد على ذلك الإحصاءات حول نسب الإناث في الجامعة التي تراوحت في الأعوام كلها بين (70-60) %، وأخذين بالاعتبار خصائصهن من حيث الفئة العمرية والحالة الاجتماعية وطبيعة العمل وأماكن الإقامة، والمعوقات المتمثلة في الظروف الاقتصادية والحوجز الثقافية والاجتماعية والأمنية التي قد تحول دون إكمال المرأة لتعليمها العالي في المجتمع الفلسطيني.

Abstract:

The concept of development for the Palestinians comes from the necessity to mobilize all human and physical energies of women and men, and direct them towards development to meet the needs of all classes and groups of all Palestinian society with the lowest cost and least time. The family is the productive active core of society, and women are the most important pillar of this family. Therefore, the women's role should be activated, and they should be given their full rights, in addition to support and promotion, in order to promote the Palestinian society to an advanced stage of security, self-sufficiency, and economic and political stability.

It is noticeable that the education and empowerment of women in the Palestinian society is essential for the improvement of their economic and social development. In addition, this can help women adapt to the changes around them, and protect them from exploitation. The provision and facilitation of higher education for women under the particular circumstances experienced by the Palestinian society and Palestinian women in particular, opens up for women career opportunities instead of being monopolized by those with a certain level of economic and social circumstances in order to obtain their rights and do their role.

Perhaps Al-Quds Open University was the perfect choice, since it is considered one of the leading and most contributing Palestinian universities to the empowerment of Palestinian women. The implementation of open education in university education removes the obstacles of woman going out of the house and attending university classes. As a result, education became accessible in both homes and workplaces, and thus made the possibility of the women's enrollment significantly increasing. In addition, the open education system became the best way to overcome all the obstacles that women face, whether social or economic, and what is imposed on her from responsibilities and obligations by the multiplicity of roles.

Al-Quds Open University offered facilities for women that no other university had offered. Through this open education system, women have been able to match between school, work and family, and possess the skills, knowledge, and experience that qualify them to enter the labor market successfully and excellently. This can be verified by the statistics on percentages of females in the university, which ranged in all the years between (60-70) %, taking into account the characteristics of these students in terms of age, marital status, nature of work, place of residence, and the constraints of economic conditions and cultural, social and security barriers that may prevent the complementation of the women's higher education in the Palestinian society.

مقدمة:

إن قدرة المرأة على القيام بدورها في التنمية يتوقف على نظرة المجتمع لها، والاعتراف بدورها وأهميته في المجتمع، وتمتعها بحقوقها في التعليم بمستوياته كافة، والتثقيف والتأهيل والتدريب، إضافة إلى تنمية شخصيتها وتوسيع مداركها من أجل تمكينها للقيام بمسؤولياتها تجاه أسرتها، وعلى دخول سوق العمل والمشاركة في مجالات الخدمة العامة وبناء المؤسسات كافة، وانطلاقاً من أهمية مكانة المرأة ودورها في التنمية، وتحقيق الاستقرار للأسرة والمجتمع. ويعرف تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام 1997 التنمية باعتبارها عملية زيادة الخيارات المطروحة على الناس ومستوى ما يحققونه من رخاء، وهذه الخيارات ليست نهائية أو ثابتة. وتجمع الأدبيات والدراسات المتعلقة بالتنمية على أن للتنمية ثلاثة عناصر أساسية، هي: (الأمم المتحدة، 2000):

- القدرة على العيش حياة طويلة وفي صحة جيدة.

- اكتساب المعرفة.

- التمتع بفرص الحصول على الموارد اللازمة لعيش حياة لائقة.

وقد عرفت الأمم المتحدة تنمية المجتمع بأنها العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات، ولمساعدتها على الاندماج في المجتمع، والمساهمة في تقدمه بأقصى قدر مستطاع. والتي يمكن من خلالها أن نصنف أهمية تقدير الناس للحريات السياسية والفردية وإتاحة الفرص المتكافئة للأفراد في الإبداع والإنتاج والمساهمة في تنمية مجتمعاتهم (UNDP, 2004).

فالتنمية بمفهومها الشمولي تؤكد على توظيف الطاقات المادية والبشرية كلها، وتركز أولاً وأخيراً على الاستثمار في الموارد البشرية من خلال تمكينها وتنمية قدراتها واستعداداتها، وفئاتها ومكوناتها كافة. وباعتبار المرأة مكوناً رئيساً من الموارد البشرية لأي من المجتمعات، وتشكل نصف هذه الموارد، فهي لها دورها المزدوج المتمثل في مساهمتها في تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكذلك دورها في تربية الأجيال وإعدادهم لتكون عاملاً رئيساً في تنمية الموارد البشرية الناشئة أيضاً (اليونسكو، 1996).

وفي إطار تحليل الواقع في وطننا العربي بشكل عام، لا نكون مبالغين إذا قلنا إن المرأة هي من أكثر الطاقات المهمشة في عملية التنمية، وما زال دورها منقوصاً في معظم المجتمعات العربية، فهي لا تتمتع بالحقوق نفسها التي يتمتع بها الرجل في ظل تربية ذكورية تؤثر على النظرة تجاه المرأة ودورها وحقوقها وواجباتها، رغم ما جرى من تغيير إيجابي في هذا المجال، وبدرجة متفاوتة بين مجتمع عربي وآخر (السعدون، 2002).

لكن ما يدعو إلى التفاؤل أن هذه النظرة قد بدأت في التغيير بشكل ملحوظ، نتيجة للوعي المصاحب للضغوط التي تفرضها احتياجات العصر الحالي للمزيد من الموارد البشرية المتنوعة والمؤهلة والمدربة للتصدي لجميع التحديات التي يفرضها الواقع، والحاجة الملحة لإشراك المرأة في خطط التنمية وعملياتها، وإدماجها في مشاريعها الهادفة إلى تحسين نوعية الحياة، وتأسيس بيئة أفضل لنمو الأفراد بحيث يمتلكون التعليم والتدريب والتأهيل الملائم لتمكينهم من مجابهة التحديات المعاصرة التي أقرتها العولمة في صورها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كافة، وحتى التاريخية (اليونسكو، 2000).

وحتى يتحقق ذلك للمجتمعات العربية، فإنه لا بد من تعبئة علمية ومنهجية شاملة للموارد البشرية، التي هي هدف من أهداف أي سياسة إنمائية. لذا كان لا بد من التأكيد على أهمية الإفادة من مكونات الموارد البشرية جميعها في القطاعات المكونة للمجتمع كافة، وعدم اقتصره في مجهوداته التنموية على قوى الرجل، مهشما دور المرأة أو منتقاصاً منه، أو مستبعداً لأهمية هذا الدور (منظمة العمل الدولية، 1994).

إن عملية التنمية هي عملية متكاملة وشاملة تهدف إلى الارتقاء بالعنصر البشري دون تمييز بين فئاته أو تحييد لها، لذا ينبغي أن تستوعب خطط التنمية، فئات المجتمع كلها، وأي خطة تنموية، لا بد أن تعتمد في جهودها على مشاركة المرأة بجانب الرجل، مما يستدعي التعامل مع القيم والمفاهيم الخاطئة لمحو الصورة المغلوطة تجاه المرأة باعتبارها سلبية ومتخلفة ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وإحلالها بصورة المرأة المثقفة والمتعلمة الواعية لدورها، والمتسلحة بالقدر الملائم من المعرفة والثقافة والخبرات والقدرات والمهارات. وبذلك يقل خطر التأثير السلبي على المحيط الاجتماعي والنسق الاجتماعي الذي تتفاعل فيه المرأة بإيجابية بدلاً من أن تعيش في صراع مع ذاتها، ومع من حولها، فتستنفذ طاقاتها في اتجاهات هدامة أو معوقة، تسعى من خلالها إلى إثبات حقها وتحقيق ذاتها (Kanwar & Taplin, 2001).

لذا ينبغي العمل المشترك على تخليص المرأة في المجتمعات العربية من الموروثات والتقاليد التي ما زالت تحاصرها، وتعوق مشاركتها في تنمية مهاراتها وقدراتها، والأخذ بالاعتبار أن المساهمة في تنمية المرأة ينبغي أن تبدأ بالتعليم أولاً، ثم تمتد لتشمل التدريب والتأهيل والتثقيف الذي يتوافق مع متطلبات العصر ومستجداته من علوم ومعارف وتكنولوجيا. وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن الضعف في الموارد والقدرات البشرية يتمثل بشكل رئيس في انتشار الأمية خاصة لدى الإناث، وضعف التعليم الجامعي، ونقص التدريب والتأهيل، وتواضع مستوى التنمية البشرية. وقد يؤدي ذلك إلى تدني دافعية بعض فئات المجتمع، ومنها المرأة من خلال النقص في مهاراتها الفنية وقدرتها على المشاركة بنجاحة في جهود التنمية، فينبغي أن لا نتجاهل هذا الجانب المهم باعتباره خطوة أولى ومنطلق أساسي نحو تطبيق برامج تهدف إلى تنمية المرأة وتنمية الموارد البشرية بشكل عام (البنك الدولي، 1998).

وعلى الرغم من أن درجة إسهام المرأة في المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية تعتمد على طبيعة الخدمات التي يقدمها لها المجتمع، والحقوق التي تقرها التشريعات والقوانين لتساعدها على القيام بالدور المنوط بها والمأمول منها، فإنها بحاجة أيضاً إلى إعداد جيد وملائم يمكنها من القيام بكل هذه الإسهامات. فالحاجة إلى مساهمة كاملة وفاعلة من المرأة في التنمية تتطلب إلمامها بالمعارف الكافية في النواحي الصحية والثقافية والبيئية وحتى التكنولوجية، وكذلك تنمية مهاراتها في استخدام المعلومات في نواحي الحياة كلها، وتدعيم اتجاهاتها وإيمانها بأهمية دورها في تنمية المجتمع، وتنمية الوعي الثقافي لديها لتدرك ما يدور حولها، والتعرف إلى حقوقها وواجباتها بطريقة إيجابية وبناءة، وهذا لا يكون إلا من خلال توفير فرص التعليم وبرامج التنقيف والتمكين المقدمة للمرأة (May, 2004).

وقد بذلت معظم بلدان العالم جهوداً كبيرة لتوسيع نطاق حصول المرأة على خدمات التعليم الأساسي والجامعي، وعملت على رفع مستوى تعليم الإناث لإيمانها بأن التعليم هو الاستثمار الأكثر مردوداً على المرأة والمجتمع سواء أكانت عاملة أم ربة بيت. فالتعليم للمرأة ينعكس إيجاباً على أفراد الأسرة كافة وأوضاعهم الصحية والنفسية والاجتماعية، وبالتالي على المجتمع وتنميته. وتشير معظم الأدبيات والدراسات إلى أن ارتفاع المستوى العلمي والثقافي للمرأة يجعلها أكثر قدرة على فهم ما تبث لها وسائل الإعلام وإدراكها، وأكثر وعياً بحقوقها، وكذلك أكثر وعياً بما يدور حولها من تغيرات وتحولات، وأكثر قدرة على المشاركة في مواجهة التحديات التي تواجه الأسرة باعتبارها لبنة من لبنات المجتمع، لتحافظ على استقرارها وسلامة مكوناتها وجودة مخرجاته (Women's International Network News, 1990).

لقد فرضت المتغيرات والمستجدات المحلية والعالمية حاجة سوق العمل إلى كوادرات بشرية نسائية مؤهلة ومتعلمة تلبي الاحتياجات الحالية والمستقبلية، وتعزز من مشاركة المرأة العاملة في التنمية الوطنية والمجتمعية بكفاءة واقتدار، إضافة إلى الدور الرئيس الذي تؤديه المرأة في تنمية الموارد البشرية باعتبار الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى والأساسية لتربية الطفل وتنشئته، خاصة خلال السنوات الأولى من عمره، حيث يكون الطفل في مرحلة عمرية يحتاج فيها إلى الرعاية والتربية السليمة المستندة إلى معرفة وتعليم متخصص، وفيها أيضاً يتعلم مبادئ الحياة الاجتماعية التي تؤثر في شخصيته واستعداداته وقدراته الحالية والمستقبلية (أنور، 2002).

تعليم المرأة ونظام التعليم المفتوح:

لقد بدأت الدول العربية منذ سنوات القرن العشرين تهتم بتعليم المرأة وتشجعه، رغم التأثير السلبي للعادات والتقاليد التي ما زالت تفرض نفسها على مشاركة المرأة ومستقبلها بشكل أو بآخر. وقد توافقت هذا التغيير الإيجابي نحو المرأة وتعليمها مع تغيير كثير من المسلمات في التربية

والتعليم، وما مرت به هذه المسلمات من تحديث وتطوير، خاصة في منتصف القرن العشرين مع بداية الانفجار في مجالي المعرفة والاتصالات. ولعل من أهم المفاهيم الجديدة التي بدأت تأخذ مكانها في النظام التربوي العربي مفهوم: «التعلم المفتوح»، حيث أصبح لهذا النمط من التعليم المتخصصون والأكاديميون، بل أصبح لهذا التعليم الكليات والجامعات المستقلة كالجامعات العالمية المفتوحة التي بدأت فروعها تغزو العالم العربي أسوة بدول العالم كافة، وبدأ الباحثون والمؤلفون يدرسون هذا النوع من التعليم، ويحددون خصائصه وأهدافه وأهميته ومزاياه وطرق الاستفادة منه، والصعوبات التي تواجه تطبيقه (ووتاكوت، 2004).

ولا شك أن التعليم المفتوح بفلسفته وأدواته ومرونته يقرب المسافات والأزمنة والأماكن، ويجعل التعليم متوافراً بعدالة لجميع فئات المجتمع وطبقاته من كبار وصغار، وذكور وإناث، وفقراء وأغنياء، وسكان المدن أو الريف أو حتى البادية...، كما أن التعليم المفتوح يوفر التعليم بأقل النفقات، ويتجاوز الظروف والمعوقات، ويلبي حاجات المتعلمين كافة. ويعد استخدام التعليم المفتوح أمراً مهماً في نطاق ما يعرف «بالتربية المستمرة مدى الحياة»، فهو يناسب جميع فئات المجتمع وطبقاته، واستخدام التعليم المفتوح في التعليم الجامعي يزيل معوقات خروج المرأة من البيت وانتظامها في الصفوف الجامعية، فأصبح بالإمكان الوصول بالتعليم إلى البيوت وأماكن العمل، وبالتالي أصبحت إمكانية التحاق المرأة بالتعليم في ازدياد ملحوظ، وأصبح التعليم المفتوح هو الأسلوب الأمثل للتغلب على المعوقات كافة التي تواجه المرأة سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية، وما يفرضه عليها تعدد دور الدور من مسؤوليات والتزامات (الصيادي، 2004).

وباعتبار التربية والتعليم بوجه عام أداة رئيسة للتنمية، ووسيلة من وسائلها في كل العصور، مهما اختلفت ظروف الزمان أو المكان، وهي الأداة التي من خلالها تتوجه المجتمعات نحو التقدم والرقي، وينسب للتربية والتعليم كل ما نشهده اليوم من تطورات علمية واقتصادية واجتماعية، لهذه الاعتبارات كلها، فإن نجاعة النظم التربوية تقاس بمقدار ما تحققة من نمو للمجتمع وأفراده، وبمقدار ما تلبى هذه النظم حاجات الفرد والمجتمع الحقيقية وتحقيق أهدافه وأهداف المجتمع. لقد ثبت أن نمط التعليم المفتوح هو الأقدر على تربية معظم شرائح المجتمع، دون تمييز بين فئة وأخرى، والأكثر ملاءمة لتحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم المنطلق من ضرورة توفير فرص التعليم لكل راغب فيه بغض النظر عن ظروفه الاقتصادية والاجتماعية والزمانية والمكانية. وبالتالي فإن التعليم المفتوح مقترن دون أدنى شك بالتنمية بأشكالها كافة: الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، باعتباره ليس فقط تعليماً نظامياً، إنما أداة ثقافية تصل إلى أفراد المجتمع كافة ومنه المرأة في مجتمعات عربية على وجه الخصوص، والتي تحيط بها كثيراً من المعوقات والمقيدات والحوجز المتباينة التي على الرغم من أنها متناقضة مع الزمن، فإنها ما تزال موجودة ومؤثرة، ولا يذللها في سبيل تحصيل التعليم العالي نظاماً تعليمياً كما هو ممكن في نظام التعليم المفتوح (Miller, 2002).

ولا تقف أهمية التعليم المفتوح ودوره في توفير التعليم والتثقيف للطلبة الملتهقين به من الإناث، إنما يمكن أن يسهم في تثقيف شرائح أوسع من النساء وتعليمهن من خلال خدمات التعليم المستمر، والقيام بالمسؤولية المجتمعية في تثقيف أفراد المجتمع وتعليمهم في موضوعات تهم معظم شرائحه ومكوناته، وتلبي احتياجاته على المستوى القريب والبعيد. والتعليم المفتوح في هذا الإطار لديه من الأدوات وآليات العمل التي تتصف بالفاعلية والمرونة ما يجعله أكثر ملاءمة، ويتفوق فيها على نظام التعليم التقليدي الذي ثبت عجزه في الإسهام بنجاعة وعدالة وشمولية في تنمية المرأة والمجتمع (UNESCO, 2002).

وقد أكدت دراسة عبد السلام (1987) كما ورد لدى (القطار، 1987) على أهمية دور المرأة في التنمية، وأن العمل يعطى المرأة مكانة وقيمة، ويساعدها على المشاركة في اتخاذ القرارات الأسرية، فزيادة مشاركة المرأة في عملية التنمية عامل أساسي لتحقيق التكامل في التنمية، وإتاحة الفرصة للمرأة من خلال التجمعات النسائية والجمعيات الأهلية والنقابية للمشاركة في التنمية، ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن ارتفاع نسبة الأمية تحد من مشاركة المرأة في برامج ومشروعات التنمية.

وأوضحت نتائج دراسة عبد الودود (1980) دور المرأة العاملة في بعض قضايا التنمية الاجتماعية، واقترح المرأة العاملة بفكرة تنظيم أسرتها، ومشاركتها في العمل السياسي والاجتماعي وترشيد استهلاك الأسرة، وتنشئة أبنائها على مجموعة من القيم والمبادئ والاتجاهات، فالمرأة العاملة تختلف نظرة المجتمع إليها وأيضاً نظرتها إلى نفسها، لذا فهي تختلف عن المرأة الجاهلة الأمية التي دائماً تستسلم لضعفها وأميتها، وبالتالي يؤدي ذلك إلى انخفاض مكانتها، وقد توصلت الدراسة إلى أن المرأة العاملة أكثر قدره على تنظيم أسرتها، كما أن معظم العاملات يؤمن بمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة. بينما أشارت دراسة عزيز (1981) إلى عمل المرأة وأثره على دورها في الأسرة جانباً آخر من جوانب أهمية دور المرأة العاملة، وأثر ذلك على مكانتها الاجتماعية ودورها داخل الأسرة، كما أنها قوة عاملة منتجة لها دورها الإيجابي في المجتمع، وقد توصلت الدراسة إلى أن عمل المرأة يؤدي إلى ارتفاع مكانتها الأسرية والاجتماعية وقدرتها على اتخاذ القرار.

كما بينت دراسة عبد الجواد (1979) أن المرأة لديها الرغبة والاستعداد للمشاركة في تنمية المجتمع وتحمل المسؤولية الاجتماعية تجاه مجتمعها. ولكن المؤسسات الأهلية والتنظيمات الاجتماعية في المجتمع لا تساعدها على ذلك ويرجع ذلك إلى عدم ملاءمة البرامج التنموية في هذه التنظيمات التي تعمل في مجال المرأة، لذلك يجب عليها أن تقوم أولاً بالتحديد الفعلي لاحتياجات المرأة، ثم تقوم بتصميم البرامج التي تتلاءم مع هذه الاحتياجات لكي تؤتي هذه البرامج ثمارها المرجوة وتؤدي إلى استثارة مشاركة المرأة في عمليات التنمية.

وحاولت دراسة فهمي (1999) تحديد مدى تحقيق الأنشطة الإنتاجية التي يقدمها مشروع تدريب المرأة الريفية في التنمية والسكان لأهدافه الاقتصادية، وتحديد مدى تحقيق المشروع لأهدافه الاجتماعية، وتحديد مدى إشباع تلك الأنشطة لاحتياجات المرأة الريفية، واستخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بالعينة لعدد (256) مفردة من المستفيدات بالمشروع بمحافظة كفر الشيخ وقد أثبتت نتائج الدراسة أن مشروع تدريب المرأة الريفية في التنمية والسكان قد حقق أهدافه الاقتصادية من خلال زيادة وعي المرأة الريفية كما حقق أهدافه الاجتماعية.

وأوضحت دراسة الصيادي (1987) أن هناك العديد من العوامل التي تعوق مشاركة المرأة في تنمية مجتمعها، ومن هذه العوامل نظرة المجتمع إلى المرأة والتقليل من شأنها والتشريعات الخاصة بالمرأة وصعوبات خاصة بالتنظيمات الاجتماعية داخل المجتمع، بالإضافة إلى عدم توافر البرامج التي تناسب طبيعة المرأة، وعدم وضوح قيم المجتمع ومعاييرها، مما انعكس على المرأة وأدى إلى شعورها بالاغتراب، إضافة إلى العوامل التي ترجع إلى المرأة نفسها والتي تعوق مشاركتها في تنمية مجتمعها.

واستهدفت دراسة ورهن شيري دي (Werhun- Cherie- D, 2000) معرفة العوامل التي تؤثر في اختيارات المرأة للمشاركة السياسية وتكونت من دراستين، الدراسة الأولى تكونت من عينة عددها (600) من طلاب الجامعة سئلوا عن احتمالات الدخول في (35) من الأنشطة السياسية المختلفة التقليدية وغير التقليدية لخلق التغيير الاجتماعي، واستخدم مقياس النشاط السياسي. أسفرت نتائج هذه الدراسة عن تحديد خمسة عوامل تمثل الأنشطة السياسية التقليدية، وواحدة تمثل الأنشطة السياسية غير التقليدية، وثلاثة مزيج من التقليدي وغير التقليدي. والدراسة الثانية تكونت من عينة عددها (80) من طلاب الجامعات قرأوا عن القضية الاجتماعية المهمة بالفقر أو البيئة، وأسفرت النتائج عن أن النساء أكثر عرضة للمشاركة في المنظمات غير الحكومية وكانت أكثر من الرجال.

وأوضحت دراسة شيرزمان وآخرون (Chrisman et al. , 1998) أن الهدف العام للجامعات ليس فقط توفير مناهج وبرامج التعليم، بل إن لها دوراً أساسياً في إمداد الموارد البشرية بالمهارات والقدرات والسلوكيات العلمية الخاصة بفكر وثقافة العمل الحر. وقد أوصت الدراسة بأن تقوم كل من الجامعات والحكومة معا بالمساعدة والتوجيه والتشجيع لمشروعات العمل الحر من خلال إمداد الطلاب بفكر العمل الحر ومفاهيمه.

ويتضح من خلال تحليل الدراسات السابقة أن ارتفاع نسبة الأمية بين النساء تحد من مشاركة المرأة في برامج ومشروعات التنمية، وأن المرأة العاملة أكثر قدرة على تنظيم أسرتها، كما أن معظم العاملات يؤمن بمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، وأن عمل المرأة يؤدي إلى ارتفاع مكانتها الأسرية والاجتماعية، ويزيد من قدرتها على اتخاذ القرار. كما يتضح من الدراسات

السابقة أن تعليم المرأة يساعد في امتلاكها للمهارات والمعارف والسلوكيات العلمية التي تؤهلها للقيام بدورها والمساهمة في عملية التنمية، خاصة في ظل عدم ملاءمة البرامج التنموية التي تقدمها المؤسسات الأهلية والتنظيمات الاجتماعية في المجتمع للمرأة، ولا تساعدها على المشاركة الفاعلة في عمليات التنمية.

مشكلة الدراسة:

تشير العديد من الدراسات إلى أن كثيراً من النجاحات التي حققتها المرأة في الدول التي طبقت نظام التعليم المفتوح نمطاً تعليمياً متوافقاً لأفراد المجتمع، يعود إلى ما قدمه هذا النظام التعليمي للمرأة، وما وفره لها من فرص ما كان من الممكن أن تتوافر لهن بدونها. وليس أدل على ذلك من الواقع الذي تشهده المرأة اليوم في فلسطين، والذي تعبر عنه الأرقام والإحصاءات التي ستضمنها هذه الدراسة، وكذلك قصص النجاح التي تعبر عن تجسيد هذا الواقع وتصويره واقعاً ملموساً يهدف بالدرجة الأولى إلى تشجيع المرأة في فلسطين على المشاركة في تلقي خدمات التعليم المفتوح، وما تقدمه جامعة القدس المفتوحة من فرص ومزايا للمرأة (الشبكة العربية للتعليم المفتوح، 2004). وبالتالي سعت الدراسة الحالية إلى التعرف إلى دور جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة في المجتمع الفلسطيني، وأهم العوامل التي تساعد الجامعة وتدعم حركتها في سبيل تنمية المرأة الفلسطينية على أداء دورها بشكل فاعل.

أسئلة الدراسة:

1. ما الدور الذي تقوم به جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة الفلسطينية؟
2. ما المزايا والفرص التي قدمتها جامعة القدس المفتوحة للمرأة الفلسطينية من خلال نظام التعليم المفتوح، والتي تساعد في تنميتها؟
3. ما أهم المقترحات التي تسهم في تفعيل دور جامعة القدس المفتوحة على تنمية المرأة الفلسطينية؟

أهمية الدراسة:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من حقيقة أن المرأة الفلسطينية تمثل نصف المجتمع الفلسطيني، وباعتبار أن المرأة الفلسطينية حققت قفزة نوعية في مجال التعليم، إذ تحتل فلسطين مرتبة متقدمة في هذا المجال مقارنة بدول أخرى كثيرة، فقد ازدادت نسبة الإناث الملتحقين بالتعليم في المستويات التعليمية كافة، بل إنه في العام (2007-2008) فاق عدد الإناث في المرحلة التعليمية الأساسية والثانوية عدد الذكور بواقع (548781) أنثى مقابل (548314) ذكراً، وكذلك تفوقت نسبة

الإناث في الجامعات على نسبة الذكور، فمن مجموع (158132) طالباً جامعياً كان عدد الطالبات (86098) بينما كان عدد الطلاب (72034) طالباً في السنة الدراسية 2006 – 2007) (مجلة ينباع، 2011). وتكتسب الدراسة أهمية حيوية من خلال مجموعة من العوامل والمبررات، هي:

1. معرفة دور جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة بشكل عام وخريجاتها بشكل خاص، ضمن الظروف الحاكمة للمجتمع الفلسطيني بصفته مجتمعاً يعيش ظروفاً استثنائية بحكم وجوده تحت الاحتلال.

2. تعدد جامعة القدس المفتوحة جزءاً لا يتجزأ من المجتمع الفلسطيني، حيث عملت على إشباع رغبات كثير من الناس غير القادرين على الدراسة والتعلم وتلبيتها، ووفرت لهم المناخ المناسب والأرضية الخصبة لذلك.

وتبرز أهمية هذه الدراسة باعتبار أن قضية المرأة من القضايا المهمة في المجتمع الفلسطيني، ولكونها نموذجاً متميزاً للمرأة تحت الاحتلال.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1. تحديد طبيعة دور جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة الفلسطينية.
2. معرفة مدى نجاح جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة الفلسطينية
3. تحديد أهم المزايا التي قدمتها جامعة القدس المفتوحة للمرأة الفلسطينية في نظام التعليم المفتوح.
4. التعرف إلى الممارسات التي يمكن أن تطورها جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة الفلسطينية.

تعريف المصطلحات:

◀ **التنمية:** يعرف تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام 1997 التنمية بأنها عملية زيادة الخيارات المطروحة على الناس ومستوى ما يحققونه من رخاء، وهذه الخيارات ليست نهائية أو ثابتة.

◀ **تنمية المجتمع:** عرفت الأمم المتحدة تنمية المجتمع بأنها العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات ولمساعدتها على الاندماج في المجتمع والمساهمة في تقدمه بأقصى قدر مستطاع (جامعة القدس المفتوحة، 2011).

◀ **جامعة القدس المفتوحة:** هي جامعة فلسطينية تتبنى نظام التعليم المفتوح، تأسست عام 1991م، وتقدم خدماتها لفئات المجتمع الفلسطيني كافة، وتتميز بأنها تتيح الفرصة للطالب العمل والدراسة في الوقت نفسه، وهذه الميزة غير متواجدة في الجامعات الأخرى التقليدية، وتعتمد على التعلم الذاتي حيث تكون المسؤولية كلها ملقاة على عاتق الطالب، ويمثل الطالب في هذا النظام التعليمي المفتوح محور العملية التعليمية.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي للبيانات والمعلومات التي جمعت من الدراسات المكتبية والإحصاءات والوثائق الداخلية ضمن منشورات الجامعة، وذلك بالإضافة إلى المقابلات الميدانية المعمقة مع (14) من الطالبات والخريجات، وتحليل محتوى هذه المقابلات والوثائق.

حدود الدراسة:

تحدد هذه الدراسة في تحليل دور جامعة القدس المفتوحة- باعتبارها تتبع نظام التعليم المفتوح- في تنمية المرأة الفلسطينية، ومن خلال طالبات يدرسن أو تخرجن من جامعة القدس المفتوحة، بمساعدة شؤون الطلبة في فروع الجامعة التعليمية التابعة لجامعة القدس المفتوحة في الضفة الغربية وقطاع غزة، بحيث تعطي المقابلات معهن الدلالات الكافية للخروج باستنتاجات واضحة.

جامعة القدس المفتوحة وتنمية المرأة الفلسطينية:

لا شك في أن التعليم يسهم في تغيير أوضاع المرأة بشكل كبير، ويتوقف إسهام المرأة في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على مستوى تحصيلها العلمي والثقافي، فالتعليم يزيد من فرص حصول المرأة على العمل، ورفع مستوى توقعاتها في الحياة، ويتغلب على التقاليد الخاطئة. وتشير كل الإحصاءات إلى أن نسبة مساهمة المرأة في النشاط الاقتصادي ترتفع مع ارتفاع المؤهل العلمي الذي تحصل عليه، وأن انتشار التعليم والحاجة إلى تنوع القوى البشرية سوف ييسران انضمام المرأة إلى قوة العمل وسوق العمل، إضافة إلى تحسين الخصائص النوعية لأهم شرائح المجتمع، وأكثرها تأثيراً في الشرائح الاجتماعية الأخرى، وحتى تستطيع أن تضطلع بدورها المأمول في منظومة التنمية (Chaudry, 1995).

ويعد تعليم المرأة وتمكينها في المجتمع الفلسطيني أمراً ضرورياً لتحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، ومساعدتها على التكيف مع المتغيرات الحادثة من حولها ولحمايتها من الاستغلال. إن توفير التعليم العالي للمرأة وتيسيره لها في ظل الظروف الخاصة التي يعيشها

مجتمعنا الفلسطيني والمرأة الفلسطينية خاصة، يفتح أمامها الفرص الوظيفية ولا يجعل الفرص المتوافرة حكراً على من كانت ظروفهن الاقتصادية والاجتماعية في مستوى معين حتى تستحق أن تنال حقوقها والقيام بدورها (جمعية الدراسات النسوية التنموية الفلسطينية، 2008).

ويعد الاستثمار في المرأة نهجاً ضرورياً في الواقع الفلسطيني من خلالها تعليمها وتدريبها وتأهيلها، وتوفير كل المقومات للمشاركة الفاعلة لها في ميادين الحياة وسوق العمل، وإلا فإن جهود التنمية وبناء المؤسسات، وقبل كل ذلك تربية الأجيال ورعايتها بشكل سليم وملائم للحفاظ على المقدرات الوطنية، والسعي نحو التحرر في ظل الحرب الشاملة التي تشن على الشعب الفلسطيني، ومنها المجال العلمي والثقافي والحضاري الذي تشكل المرأة جزءاً رئيساً منه وحارساً أميناً عليه، فلا يمكن لها أن تقوم بدورها فيه إذا لم تكن متسلحة بمستوى عالٍ من التعليم والثقافة والتأهيل (جمعية الدراسات النسوية التنموية الفلسطينية، 2008).

ويشير تقرير اليونسكو للعام 1995م في مجال التعليم، إلى أن "تعليم النساء والفتيات يعتبر من أفضل الاستثمارات للمستقبل". وسواءً أكان الهدف هو تحسين الحالة الصحية للأسر، أم زيادة عدد الأطفال المسجلين في المدارس، أم تحسين الحياة الاجتماعية، فإن جهود المجتمعات لن تكفل بالنجاح إلا عن طريق تعليم الأمهات وتحسين أوضاع المرأة بشكل عام. ويشير الأدب التربوي في مجال تنمية المرأة إلى أن النساء اللاتي يلتحقن بمقررات تعليم عال هن أكثر تقديراً لذواتهن وثقة بقدراتهن في حل المشكلات واتخاذ القرارات والقيام بمسؤولياتهن في ظل تعدد أدوارهن (الأمم المتحدة، 2000).

وفي ظل وجود بعض التحديات التي ما زالت المرأة العربية، ومنها المرأة الفلسطينية تواجهها في سبيل استكمال تعليمها العالي، والمتمثلة في القيود الاجتماعية المرتبطة بالعادات والتقاليد والمفاهيم الخاطئة الملازمة للنظرة الدونية لتعليم المرأة، وتبني فكرة أن التعليم مهم للرجل أكثر منه للمرأة، إضافة إلى الظروف الاقتصادية غير المستقرة، ونقص الموارد المالية بسبب انخفاض معدل الدخل وارتفاع مؤشرات الغلاء، وثقل المسؤوليات الأسرية، فإن نمط التعليم المفتوح وأدواته يؤدي دوراً مهماً في تشجيع المرأة على إكمال تحصيلها العلمي، لا سيما لفئات معينة من النساء اللواتي وجدن في جامعة القدس المفتوحة الملاذ الوحيد لبناء شخصيتهن الثقافية والاجتماعية. فنرى في جامعة القدس المفتوحة نساء أعمارهن فوق الستين أو يزيد، وأخريات أمهات وجدات، أو لديهن من الأبناء العدد الكبير، وبعضهن تركن الدراسة منذ عشرات الأعوام (الصيادي، 2004). فوجدت المرأة الفلسطينية في التعليم المفتوح ضالتها في تحقيق ذاتها وأهدافها في التعليم وتعويضها عما فاتها من فرص، بسبب ظروفها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تقف حائلاً أمام التحاقها بمؤسسات التعليم العالي التقليدية. فقدمت لها جامعة القدس المفتوحة فرصاً ومزايا لا تتوافر إلا في نظام

التعليم المفتوح، ومن هذه المزايا (جامعة القدس المفتوحة، 2013) :

♦ أولاً: التغلب على الحواجز الاجتماعية وقيود المكان والعادات والتقاليد إضافة إلى القيود التي يفرضها الاحتلال، وتتأثر المرأة بها أكثر من الرجل، فالمرأة التي تعيش في المناطق الريفية والنائية بصفة خاصة تعاني من تمييز وحرمان أكثر من غيرها، فحتى الفقر تم تأنيته باعتبار أن المرأة أكثر فئات المجتمع تضرراً وحرماناً وتخلفاً. فجاءت جامعة القدس المفتوحة لتفتح فروعها لها في يطا ودورا وبيت ساحور وأريحا وسلفيت وطوباس وبديا، وكافة مناطق تواجد الجامعة.

وللدلالة على ذلك، فإن لغة الأرقام في إحصاءات الجامعة عن أعداد الدارسين للعام 2010/2011 توضح أن نسبة الطالبات إلى مجموع الطلبة تتباين بين منطقة وأخرى، ويتضح هذا التباين في المفارقة بين نسبة الإناث إلى المجموع العام للطلبة بين فروع الجامعة التعليمية، إذ تبلغ النسبة في فرع دورا (71%)، بينما النسبة في فرع الخليل (61%)، وتصل في فرع القدس (87%)، حيث تضاف قيود الاحتلال للحركة من القدس وإليها على المرأة بشكل أكثر تأثيراً، كما هي على الرجل إضافة إلى القيود الاجتماعية والتقاليد المتوارثة. ولعل الأرقام النسبية للإناث مقارنة بالذكور في فروع قطاع غزة تستدعي الوقوف عندها، وما يتوجب أن يعمل لتغييرها أسوأ بفروع الضفة، فنسبة الإناث في فرع غزة تصل إلى (39%) من مجموع الطلبة، على الرغم من أن واقع حرية الحركة بين فروع القطاع قد يكون له أثر على ذلك.

ويلاحظ من هذه الإحصاءات أيضاً أن المناطق الجغرافية التي لا تتواجد فيها جامعات مقيمة تزداد فيها نسبة الإناث مقارنة بالذكور، فهي في جنين (71%)، وفي بديا (70%)، وفي العيزرية وقليلية وأريحا (68%)، بينما في رام الله والبيرة وبيت لحم (64%)، و (62%) في طولكرم، و (61%) في الخليل (إحصاءات عمادة القبول والتسجيل، 2012).

♦ ثانياً: التعامل مع تعدد أدوار المرأة ومسؤولياتها تجاه أسرتها، حيث قدم نظام التعليم المفتوح للمرأة فرصة لتلقي العلم والمعرفة والتواصل مع خدمات الجامعة مع إمكانية بقائها في منزلها سواء أكانت عاملة أم ربة بيت، ودون أن يأخذها هذا النمط التعليمي التعليمي بعيداً عن زوجها وأطفالها أو عملها ومسؤولياتها الاجتماعية الأخرى. فتمكنت المرأة في جامعة القدس المفتوحة، ومن خلال خدمات نظام التعليم المفتوح أن توفق بين مسؤولياتها الأسرية وعملها وإكمال تعليمها العالي.

♦ ثالثاً: تحسين مستوى القوى البشرية وتفعيل مكون أساسي من مقدرات هذه القوى، والمتمثلة في المرأة باختلاف ظروفها وواقعها، فانعكس ذلك بشكل مباشر على تنمية الطاقات البشرية في فلسطين، وتنوع هذه الطاقات، وإكساب المرأة سمات تجعلها قادرة على المنافسة في بيئات عمل تنافسية ساهمت العولمة في ظهورها.

إن جامعة القدس المفتوحة ومنذ الفوج الأول لخريجها عام (1997) خرجت حتى بداية العام (2011) ما مجموعه (27,973) من الإناث، يشكلن ما نسبته (59%) من مجموع الخريجين، وقد توزعت هذه النسبة من الخريجات على برامج الجامعة وتخصصاتها كافة، في الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات والزراعة والتنمية الاجتماعية والعلوم الإدارية والاقتصادية والتربية، ودبلوم التأهيل التربوي، مما يشكل تنوعاً في الكفاءات والتخصصات والخبرات كمكونات القوى البشرية النسائية المؤهلة لسوق العمل والتفاعل مع احتياجات هذا السوق. وتطوراته فاستفادت المرأة في فلسطين من الفرصة المتاحة أمامها لدخول سوق العمل، وتمكنت خلالها من احتلال (31%) من حجم الوظائف في الحكومة والجهاز الإداري للسلطة، وتسلمت المرأة ما نسبته (11%) من مناصب المديرين العاملين العاملين في السلطة الوطنية، و«5» سفيرات، و«4» وزيرات في الحكومة الحالية، والعدد في تزايد في مجالات العمل والقيادة كلها، حتى إن الجامعة كان لها شرف تخريج أول امرأة تسلمت منصب محافظة على مستوى الوطن العربي كافة.

♦ رابعاً: زيادة أعداد النساء الملتحقات بالتعليم العالي، فاستخدام التعليم المفتوح في التعليم الجامعي يزيل معوقات خروج المرأة من البيت والانتظام في الصفوف الجامعية المباشرة أو عبر التقنيات الحديثة التي أصبحت قادرة على نقل التعليم إلى البيت أو مكان العمل، فأصبح الإقبال على التعليم العالي في ازدياد، وأصبح التعليم المفتوح هو الأسلوب الأمثل لإزالة المعوقات أمام المرأة للالتحاق بالتعليم العالي، وليس أدل على ذلك وحسب إحصاءات الجامعة للعام 2010 / 2011، فإن مجموع الطالبات في الجامعة يمثل (61%) من مجموع الطلبة الكلي في الجامعة البالغ (64,533). وتتباين هذه النسبة بحسب الفروع التعليمية لتصل إلى (77%) من نسبة طلبة الفروع في أعلاها و (39%) في أدناها.

♦ خامساً: تحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم باعتباره حقاً رئيساً من حقوق الإنسان، نصت عليه مواثيق حقوق الإنسان العالمية، وكذلك الدستور الفلسطيني، والمنطلقة من ضرورة توفير فرص التعليم لكل راغب فيه بغض النظر عن جنسه أو لونه أو ظروفه. وليس أدل على ذلك النسب العالية للمرأة في جامعة القدس المفتوحة. فالتنمية حسب تعريف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تعني خلق بيئة ديمقراطية وملائمة يستطيع الأفراد من خلالها تطوير ذواتهم إلى أقصى ما تسمح به قدراتهم ليعيشوا حياة يقدرونها. (الأمم المتحدة، 2000).

♦ سادساً: المنفعة الذاتية للمرأة بتحقيقها لذاتها، وتحسين مفهومها لها من خلال تحقيق طموحها وتطلعاتها، وانعكاس ذلك على صحتها النفسية واستقرارها واستقرار أسرته، باعتبار استقرار الأسرة أساساً للاستقرار العام للمجتمع، وتنعكس إيجاباً على إنتاج الأفراد والجماعات والمجتمع بشكل عام (Trendade et al., 2000).

♦ **سابعاً:** تمكين المرأة من التعامل مع تقنية المعلومات والتكنولوجيا الحديثة، مما وفر لها حق التعلم مدى الحياة والحصول على العمل المناسب الذي يمدها بالحياة الكريمة. فالتكنولوجيا وما تحمله من مزايا تطويرية يمكنها أن تكون البوابة الواسعة التي من خلالها يستطيع الأفراد عامةً، والمرأة خاصةً من تطوير قدراتهم بالقدر الذي يتيح لهم الفرص المتعددة للمساهمة في تنمية أنفسهم وتطوير مجتمعاتهم. فأصبحت **جامعة القدس المفتوحة** وما تفتحه من آفاق في مجال استخدام التكنولوجيا ضرورة حتمية لمساعدة المرأة على عبور الفجوة الرقمية وتسخير التكنولوجيا لخدمتها، وزيادة الفرص المتاحة لها في حياتها اليومية.

♦ **ثامناً:** المردود الإيجابي على أسرة المرأة وأبنائها باعتبار الأم قدوة حسنة ومربية لأطفالها، فالاهتمام بتطوير المرأة وقدراتها بالتعليم والثقافة الملائمة يعني اهتماماً بالأسرة كافة، فالمرأة تعد المحور الرئيس الذي تتمركز حوله الأسرة وتستمد منه قوتها واستقرارها وتماسكها. وأصبحت المرأة الأم أو حتى الجدة في **جامعة القدس المفتوحة** زميلة لأبنائها وأحفادها على مقاعد الدراسة، تنافسهم في الواجبات والتحصيل وتتعاون معهم، وتقدم لهم الحافز والدافع والصورة الحية للقدوة الحسنة في التعلم والإنجاز مدى الحياة.

♦ **تاسعاً:** تحسين مهارات المرأة الاجتماعية والشخصية وتبادل الخبرات والتجارب مع زميلاتها وزملائها، وهذا ينعكس على تفريغ المرأة لانفعالاتها، وتطويرها لقدراتها واستعداداتها الشخصية التي أصبحت مكوناً رئيساً لاستقرار الفرد النفسي، وبالتالي الحد من الاضطرابات الأسرية. إضافة إلى ما يتطلبه سوق العمل من مهارات واحتياجات مرافقة للإعداد الأكاديمي والتدريب والتأهيل المتخصص، فوفرت الجامعة لهؤلاء النسوة فرصة لتبادل الخبرات مع خلفيات اجتماعية وثقافية واقتصادية متعددة. كما أن التعليم المفتوح يتمركز حول الطالب أكثر مما هو في التعليم التقليدي، فهو لا يعتمد على الألفاظ والحفظ، إنما المتعلم فيه إيجابي وفاعل. كما أن تنوع أساليب التعليم والتعلم في نظام التعليم المفتوح باستخدام الكتاب المقرر، والأشرطة السمعية والمرئية، والتعليم والتعلم الإلكتروني، ووسائل الاتصال المتعددة، تجعل المتعلم يستخدم أكثر من حاسة من حواسه في أثناء التعلم، فينعكس ذلك على مهاراته وصقلها وتطويرها.

دور جامعة القدس في حياة المرأة في صور حية:

نظراً لما يوفره نظام التعليم المفتوح من فرص ومزايا، فهو يؤدي في فلسطين دوراً رئيساً ولموسماً في تغيير حياة آلاف النساء اللواتي معظمهن من المحرومات أو كانت تقف في طريق تعليمهن حواجز وعقبات، فكان في **جامعة القدس المفتوحة** طوق النجاة لهن، فتحدثت الصورة عن هذا الدور. وذلك من خلال المقابلات الآتية التي أجريت في العام 2012، وهي كالتالي: «رائدة»، وعلى الرغم من أنها زوجة وأم لعدد من الأبناء من ذوي الاحتياجات الخاصة، وتبلغ من العمر (38) عاماً، وهي من إحدى البلدات التي يحسب فيها لخروج المرأة إلى مدينة

أخرى ألف حساب من منظور العادات والتقاليد أو حتى الإمكانيات والالتزامات. رغم ذلك التحقت رائدة بجامعة القدس المفتوحة، وتخرجت منها وتقدمت لاختبار التوظيف الذي تعقده سنوياً وزارة التربية والتعليم العالي، فحصلت على علامة (84%) محتلة بذلك المرتبة الأولى على صعيد ثلاث مديريات تربية في محافظتها. تقول رائدة: «إن إرادتها ما كانت لتسهل عليها المهمة وتحقيق هذا الإنجاز لولا توافر المؤسسة التعليمية التي قدمت لها تسهيلات عدة مكنتها من تجاوز عدد من العقبات التي كانت تقف في طريق إكمالها لدراساتها وتطوير إمكاناتها، للحصول على فرصة لتحسين الواقع الاقتصادي لأسرتها، وتحسين مهاراتها في مجال التعامل مع أبنائها وظروفهم الخاصة. «رائدة»، لديها طموح بإكمال دراستها لمراحل الدراسات العليا بعد حصولها على فرصة عمل، وتؤكد أن جامعة القدس المفتوحة كان لها الدور الأكبر في نجاحها بما أتاحتها لها ولمثيلاتها ممن فاتتھن فرص التعليم في الجامعات المنتظمة، وتحقق أحلامهن وطموحاتهن، مؤكدة أن التعليم المفتوح -ومن خلال تجربتها وتجارب زميلاتها-، هو السبيل لتلبية حاجات الأفراد كلهم، والمرأة خاصة إلى تعليم بوسائل تناسب أعمارهن، ومسؤولياتهن، وأوضاعهن الاقتصادية والاجتماعية، فإكمال تعليمها كان حتماً صعب المنال لولا جامعة القدس المفتوحة.

وتتحدث «ابتسام» (45) عاماً بأنها هي المعيل لأسرتها المكونة من ثلاث طلائع، متحديّة الظروف، معانقة أبواب العلم لتجعله طريق أسرتها، داعمة مشوار أبنائها نحو النور، وتقول: «إن سلاح المرأة هو العلم، وعليها امتلاكه حتى تواجه عقبات الحياة، ولتملك القدرة على نزع الشوك من طريقها». التحقت ابتسام بـجامعة القدس المفتوحة عام 2003 لإتمام مرحلة البكالوريوس في طريقها لإكمال دراساتها العليا، وتقول إنها تحملت عبء الدراسة والتربية والأسرة والإعالة من خلال العمل في آن واحد، إضافة إلى الضغوطات البيئية والاجتماعية، التي تمكنت من تذليلها من خلال إرادتها، وما قدمته لها جامعة القدس المفتوحة من فرصة كاملة وميسرة في التعليم والعمل وتربية الأطفال لاتباعها نمط التعليم المفتوح، الذي كان السبيل الوحيد إلى تحقيق أحلامها. تقدمت ابتسام بمشروع تخرجها في مجال الإدارة إلى مسابقة «كلنا قادرون» الذي يشارك فيها العشرات من خريجي الجامعات الفلسطينية كافة، ففازت بمنحة المسابقة لتلتحق ببرنامج الماجستير في الإدارة على طريق إكمال الدكتوراه.

أما «صفاء» فهي قصة امرأة خاصة، فهي تسمع ما يكتب ولا تستطيع قراءته إلا بعد أن تستمع إليه وتكتبه بطريقها الخاصة على آلة برايل الطابعة، فهي ولدت كفيفة في أسرة مكونة من سبعة أشخاص، وهي الفتاة الوحيدة بينهم، ولها أخ كفيف آخر. أنهت صفاء الثانوية العامة بمعدل (87%) وحلمها أن تنهي درجة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية، لكن أين السبيل وأقرب جامعة لها تبعد عشرات الكيلومترات، والمواصلات ليست سبيلاً فيسرأ لها للوصول يومياً إلى الجامعة، ولا يسهل عليها الاعتماد على نفسها للعيش بعيداً عن أهلها حيث تتواجد الجامعة،

فكان في جامعة القدس المفتوحة من خلال فرعها التعليمي في تلك المنطقة التي تقطنها صفاء ضالتها، وباب الفرج لتحقيق أحلامها وطموحاتها، حصلت صفاء على منحة الطالب من ذوي الإعاقة التي تقدمها الجامعة، فكانت حلاً لجانب آخر من قضيتها ومشكلتها، وهو المتعلق بظروفها الاقتصادية الصعبة. صفاء تطالب السلطة الوطنية بتطبيق قانون العمل الذي ينص على قيام كل مؤسسة بتخصيص ما لا يقل عن (5%) من حجم العاملين لديها لذوي الإعاقة، فهي تسعى للحصول على عمل توفر من خلاله حياة كريمة لنفسها وتحقق من خلاله ذاتها وتسهم في تنمية مجتمعها وبناء الوطن ومؤسساته. صفاء وبعد أن اجتازت امتحان التوظيف في وزارة التربية والتعليم العالي بنجاح، تنتظر خبر توظيفها في مدرسة خاصة بالمكفوفين، إلى جانب قيامها بمساعدة أسرتها بالأعمال المنزلية، وتدريس أختها مادتي اللغة الإنجليزية والرياضيات.

وترى «كاترين» ضرورة ملحة لانخراط المرأة في العمل وفي ميادين عدة، وذلك للوقوف إلى جانب الرجل في تحمل أعباء الحياة المتزايدة عاماً بعد عام. وتقول: «رغبتي في العمل كانت مقرونة بحصولي على شهادة جامعية كانت تحول بيني وبين حواجز وسدود في أي من الجامعات التقليدية»، وتضيف: «لقد ساعدتني جامعة القدس المفتوحة بنظامها التعليمي، وما يتصف به من مرونة على اختيار المقررات وعدد الساعات التي تناسب ظروفني واستعداداتي في كل فصل دراسي، كما أن تصميم الكتب خصيصاً لنظام التعليم المفتوح والوسائط المساندة والتعليم الإلكتروني والتواصل مع الجامعة عبر البوابة الأكاديمية الإلكترونية، ساهمت في وصولي إلى مرحلة التخرج من جامعة القدس المفتوحة».

الفكرة التي انطلقت منها جامعة القدس المفتوحة هي أن الدراسة بحد ذاتها قيمة لا يستطيع الإنسان المعاصر مواكبة الحياة والتطورات بدونها، وبالتالي كانت جامعة القدس المفتوحة بنظامها التعليمي قادرة على أن توفر فرص التعليم والتعلم الجامعي لأبناء الشعب الفلسطيني الراغبين في ذلك كلهم، وخاصة المرأة، ودون أي تمييز، الأمر الذي يحقق ديمقراطية التعليم، وإتاحة الفرصة لكثير من قطاعات الشعب الفلسطيني ككبار السن وربات البيوت والأسرى المحررين والموظفين وأصحاب الأعمال الحرة ليتمكنوا من الجمع بين العمل والوظيفة والواجبات الأسرية والالتزامات الاجتماعية في نظام تعليمي مرن من حيث الزمان والمكان والظروف.

ومن جهتها تؤكد «سامية»، وهي أم وربة بيت وعاملة ودارسة، أن نظام التعليم المفتوح المتبع في جامعة القدس المفتوحة يساعد على تنمية المرأة وتوفير فرصة لم تكن متوافرة قبل وجود الجامعة لإكمال المرأة تعليمها ومتابعة عملها في آن واحد، وتشير إلى إيمانها بضرورة أن تتابع المرأة تعليمها الجامعي بهدف تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، ومساعدتها على التكيف مع التغييرات الحديثة والمستجدة والطائرة من حولها وحمايتها من الاستغلال وتقول: «تعليم المرأة يعد من أفضل الاستثمارات للمستقبل، ولتحسين الحياة الاجتماعية، فجهود

المجتمعات لن تكفل بالنجاح إلا عن طريق تعليم الأمهات وتحسين أوضاع المرأة بشكل عام». وتشعر سامية بأهمية جامعة القدس المفتوحة، ونظام التعليم المفتوح من منطلق تجربتها الخاصة، فهي أم وزوجة وعاملة ومتعلمة، وثقل المسؤوليات الأسرية يلقي بظلاله على قراراتها وفرص إكمالها لدراستها الجامعية، إلا أن جامعة القدس المفتوحة أتاحت لها فرصة نادرة لم تكن لتتوافر في أي جامعة أخرى. وتقول سامية: «كثيرة هي المزايا التي توافرت لي في جامعة القدس المفتوحة، وأبرزها استمراري في عملي موظفة، وعدم اضطراري إلى الاستقالة والتفرغ للدراسة لا سيما في ظل التحديات الاقتصادية التي يواجهها المجتمع بشكل عام، فالتحاقق بنظام التعليم المفتوح منحني فرصة النهوض بمستواي الثقافي والتعليمي والاقتصادي في الوقت ذاته». وتضيف سامية أن جامعة القدس المفتوحة مكنتها من البقاء بالقرب من زوجها وأطفالها دون أن تكون مضطرة للابتعاد عنهم، فالتقنيات الإلكترونية التي توظفها الجامعة في نقل المعرفة والخدمات للدارسين تساعد النساء أكثر من غيرهن في تخطي العقبات التي يواجهنها في حياتهن، ويجعلهن قادرات على التكيف مع دراستهن وأعمالهن وواجباتهن البيئية والأسرية.

«كندة وبروانة، ومزينة وهوازن» أربع شقيقات ملتحات بفرع تعليمي واحد، تنقش أسماءهن في كل فصل على لوحة الشرف، ويكرّمن في حفل تكريم المتفوقين، فهن يحملن دوماً بالوصول إلى أعلى مراتب العلم، وبالتالي القيام بدورهن ومسؤوليتهن تجاه بناء دعائم الوطن، تؤمن الشقيقات الأربع بأهمية العلم باعتباره السلاح الفعال لخلق مجتمع متميز، فهن في نظام تعليمي يسخر كل الإمكانيات التكنولوجية والعلمية لتحديد معالم المستقبل المشرق.

وكان حلم «هالة»، (57) عاماً بإكمال تعليمها الجامعي يراودها طوال السنين، والذي لم تكن ترى سبيلاً لتحقيقه قبل وجود جامعة القدس المفتوحة، فهي في هذا العمر عادت إليها روح الشباب وتشعر باندفاع غريب نحو الدراسة بعد التحاقها بجامعة القدس المفتوحة، فهي زميلة لابنها محمد وحفيدها عبد الفتاح/ وحفيدتها تماره الذين يدرسون معها في الفرع التعليمي نفسه، تشاركهم أنشطة الجامعة وواجباتها، وهناك تنافس قوي بينها وبينهم في الدراسة. لقد تزوجت «هالة» وعمرها (14) عاماً، فكان زواجها المبكر سبباً في حرمانها من إكمال تعليمها رغم حبها وشغفها بالتعليم، وهي على أبواب التخرج إلى جانب عملها في وظيفة حكومية، وتعمل في أعمال تطوعية كرئيسة للاتحاد العام للمرأة في محافظتها، وعضوية لجان وجمعيات، ومسؤولة عن تربية أبنائها ورعاية أحفادها. إصرارها على التعليم كان بهدف تحقيق ذاتها، وليس الكسب المادي باعتبارها على أبواب التقاعد من الوظيفة.

أما «انتصار»، فهي أم لسبعة أبناء، حصلت على شهادة الثانوية العامة بعد عشرين عاماً من الانقطاع عن الدراسة، والتحقّت بجامعة القدس المفتوحة إلى جانب إدارتها لمحل بيع الملابس المتواضع في أزقة المخيم وبين جنباته المكتظة وصخبه الذي خلقت منه انتصارها

وإبداعها. تعمل وتطور معارفها ومؤهلاتها لتساعد أسرتها في ظل ظروف اقتصادية غاية في الصعوبة، فهي زميلة في الجامعة لابنها وابنتها. تقول انتصار: «انتظرت سبعة عشر عاماً وأنا أحلم بإكمال دراستي، وكبرت وكبر معي الحلم حتى صار من عمر أبنائي، وفي مخيلتي نظرة الناس لي كأُم غير متعلمة، ونظرة أبنائي وحاجتهم للمساعدة مني في دروسهم، فبعد نجاحي في امتحان الثانوية العامة، وجدت مخرجاً فريداً لتحقيق ذاتي وحلمي في جامعة القدس المفتوحة وما توفره من مرونة في خدماتها تناسب ظروفني واحتياجاتي، وتضيف انتصار: «أشعر الآن بعد التحاقني بالجامعة إنني انتصر لذاتي ولأسرتي أولاً، وللأم والمرأة الفلسطينية ثانياً، وسأسعى لإكمال الدراسات العليا متمنية أن تتوافر فرصة التعليم العالي في جامعة القدس المفتوحة وفق نظامها التعليمي المفتوح».

أما «منى»، فهي تزوجت في سن مبكرة، واعتقل زوجها وهدم بيتها وهي في العشرين من عمرها ولديها ابن وبناتان. حكم على زوجها المؤبد مدى الحياة، فاسودت الدنيا في عينيها، وأنهكتها الهموم والتفكير في مستقبل أسرتها. تذهب منى مع أولادها لزيارة زوجها في السجن، وتلتقي بأهالي الأسرى الآخرين، فكان الحديث عن الحال الذي لا يسر عدواً ولا صديقاً، والعمر الذي يمضي دون إنجاز، والوقت الذي يضيع في القيل والقال، فنصحتها والددة أحد الأسرى بأن تلتحق بجامعة القدس المفتوحة، واصفة تجربة ابنها الذي لم يكن حالها أحسن من حاله في الجانب النفسي والنظرة الضبابية للمستقبل، فالتحق بجامعة القدس المفتوحة وهو الآن حاصل على شهادة الدكتوراه ويعمل أستاذاً في إحدى الجامعات. بدأت الفكرة تراود «منى» ولا تفارق مخيلتها، بل أصبحت حلماً تسعى لتحقيقه، فذهبت إلى أقرب فرع لجامعة القدس المفتوحة في محيطها الجغرافي، بعد أن اختارتها دون غيرها من الجامعات لنظامها التعليمي وملاءمة متطلبات الالتحاق بها والالتزام بواجبات الدراسة فيها لظروفها وإمكاناتها والتزاماتها، إضافة إلى السمعة الطيبة التي وصلتها عنها على لسان كثير من أهالي الأسرى وذويهم، ومن محيطها وفي مكان سكنها بعد أن بدأت تتحدث عن فكرة الالتحاق بها.

تقول منى: «أنهيت درجة البكالوريوس في أربع سنوات، ووجدت نفسي أنجز الحلم الذي بدا لي صعب المنال وأحققه، ولم أستسلم لليأس فأبقى واقفة على قارعة الطريق والناس تمر، فنهاية الكون لا تكون إلا بمشيئة الله، أما مستقبلي فسأسعى بكل جهدي لجعله أكثر إشراقاً وإنجازاً». وتضيف منى: «لم أهمل أولادي ومسؤوليات بيتي المضاعفة في ظل غياب زوجي بسبب الاعتقال، وأقوم بزيارة زوجي باستمرار، وأساعد أولادي في دراستهم وتربيتهم بطريقة أفضل ومبنيّة على معارف وعلوم زودتني بها الجامعة والاحتكاك بالزملاء والزميلات، وألتزم بواجباتي تجاه دراستي وأنجز فيها». عينت منى لتفوقها في فرعها التعليمي نفسه في قسم شؤون الطلبة لتقدم العون لزملائها من الطلبة الآخرين، وحصلت على شهادة الماجستير، وما هي اليوم في المراحل

الأخيرة لشهادة الدكتوراه لتعود أستاذاً جامعياً في جامعة القدس المفتوحة، وتسهم في تعليم الأجيال وتربي أبنائها وتنتظر الفرج بعودة زوجها بعد الإفراج عنه وقد بنت له ولأسرتها كياناً وواقعاً يريح بال هذا الزوج الذي ضحى للوطن، وتبني لبنة من لبنات المجتمع بشكل ملائم وفاعل إسهاما في تنمية المجتمع بدلاً من أن تكون هي وأبنائها عالة أو حملاً ثقيلاً.

«جانيت»، لديها ابن وابنة كبرا وتزوجا واستقل كل منهما مع أسرته، شعرت بالوحدة في عمر الستين، فوجدت قدميها تقودانها إلى جامعة القدس المفتوحة لتلتحق بها في ظل استغراب من لم يفهمها أو يدرك المردود الذي قد يكون على حياتها في هذا العمر المتقدم. أنهت «جانيت» دراستها خلال أربع سنوات، وتقول: «كانت أحلى لحظاتي في الجامعة حين أجتمع مع الشباب والصبايا وتناقش في مواضيع الدراسة والامتحانات ومواضيع كثيرة، وكنت أحياناً أشعر بتميزي عنهم في الخبرة وتجربة الحياة، فأفيدهم ومنهم أستفيد، وكذلك الحال مع أساتذتي الذين عاملوني كزميلة وصديقة ضمن الإطار التربوي السليم».

جانيت تدير عملاً خاصاً، وقد انعكست دراستها على طبيعة عملها من حيث الإدارة والتخطيط، والقيام ببعض الأعمال المحاسبية، أو متابعة أمور التسويق للبضائع المنتجة، مما كان له الأثر الكبير في مردود العمل المادي والعلاقات مع العمال والزبائن، والجودة للمنتجات وطريقة تسويقها. تضيف جانيت: «لقد عززت الدراسة والحصول على الشهادة ثقفتي بنفسي، فترشحت لعضوية المجلس البلدي، وأصبحت الآن أفخر بعضويتي بعد نجاحي في الانتخابات، فأصبح دوري فاعلاً في المجتمع، وأوسع مساحة وأكثر تأثيراً»، وأقولها بصدق: «لو لم تكن لدي شهادة جامعية لما تكونت لدي الجرأة للترشح لعضوية المجلس البلدي».

لقد ساعدتني الجامعة كي أجد نفسي حتى بعد الستين من عمري، فأنا حرمت أو ضحيت في سبيل غيري، وأتاحت لي جامعة القدس المفتوحة الفرصة لأكون مثلهم أو أفضل، أثبت وجودي، وكنت مثل الوردة الذابلة التي رويت فأزهرت وانتشر عبيرها فواحاً في كل المجتمع المحيط، وورودها تزين كل مكان.

و «انتصار»، التي تزوجت وعمرها (14) عاماً، فحزمت من التعليم؛ لأنها لم تكمل الثانوية العامة، وكان حال زوجها ميسوراً، فهو مهندس يعمل في البناء داخل دولة الاحتلال. بعد (21) عاماً حين كان عمرها (35) عاماً، تغير الحال وأصبح زوجها عاطلاً عن العمل، فاضطرت لتحمل المسؤولية وفتحت محلاً بجوار بيتها تباع فيه بعض الملابس لجيرانها ومعارفها، تحاول من خلاله أن توفر لقمة العيش لأسرتها التي فيها خمس من الأبناء، أكبرهم تدرس في جامعة القدس المفتوحة. بعد تفكير في حالها، قررت أن تتقدم لامتحان الثانوية العامة في فترة متأخرة من السنة، فاعتبرها كل من حولها مجازفة محسومة النتائج، إلا أن العزيمة والإصرار لديها أهلاها للحصول على معدل (86%) في امتحان الثانوية العامة، لتتأهل للالتحاق بجامعة

القدس المفتوحة في منطقتها، وتحصل على منحة التفوق من الجامعة في كل فصل دراسي، وتخرج بعد أربع سنوات حاملة شهادة جامعية فتحت لها آفاقاً رحبة في الحصول على وظيفة تسهم من خلالها في إعالة أسرتها والقيام بمسؤولياتها باقتدار تجاه أبنائها وتعليمهم وتربيتهم، وتعين زوجها في ظروفه القاهرة. وتقول انتصار: «كنت أذهب إلى الجامعة ونظرات بعضهم تخترق أفكاري، وحتى كتبي التي اضطررت في البداية إلى حملها في كيس يخفي ما بداخله، فحتى ابنتي كانت إما أن تسبقني أو تتأخر عني في أول مشواري التعليمي في أثناء زيارتها إلى الجامعة نفسها لما يحمله بعض الجهلاء من أفكار سلبية حول دراستي في هذا العمر، وفي ظل أوضاعي الصعبة، فأنا أم ومربية وظروفي قاهرة، حتى أنني أخبز على فرن الحطب، وليس لدينا مقومات الرفاهة التي تسهل علي فهم مهمة تربية أبنائي والعناية بهم، وعلى الرغم من ذلك مضيت في طريقي مع هذه الجامعة المتميزة في نظامها وتقديرها لطلبتها، وتعززت ثقفتي بنفسي وبقراري لإكمال دراستي يوماً بعد يوم، وأثبت لكل من حولي أنه في هذا الخريف حين تجد زهرة يافعة، عليك أن تمتع نفسك بشم عطرها».

مناقشة نتائج الدراسة الميدانية:

- توصل الباحث إلى أن هناك عدداً من الجوانب المشتركة بين المقابلات التي أجريت، والتي تجيب عن تساؤلات الدراسة بحيث جاءت على النحو الآتي:
1. ساعدت جامعة القدس المفتوحة في دعم امتلاك المرأة الفلسطينية للمعارف والمهارات المتنوعة.
 2. نظام التعليم المفتوح في جامعة القدس المفتوحة يتيح الفرصة للطالب للعمل والدراسة في نفس الوقت، وهذا لا يتوافر في الجامعات الأخرى المقيمة.
 3. ساهمت جامعة القدس المفتوحة في توفير فرص عمل لعدد من خريجاتها داخل الجامعة نفسها.
 4. ساعدت جامعة القدس المفتوحة بنظامها التعليمي المفتوح في زيادة اعتماد الطالب على الذات وتعزيز الثقة بالنفس.
 5. يعدُّ تعليم المرأة من أهم استثمارات المستقبل، فلا يمكن النهوض بالمجتمعات إلا عن طريق تعليم المرأة وتحسين أوضاعها.
 6. ساهمت جامعة القدس المفتوحة في توفير فرص التعليم العالي لخريجاتها ومتابعة شؤونهم ودعمهن في عدة مجالات.

7. ساهمت جامعة القدس المفتوحة في تغيير نظرة المجتمع السلبية لتعليم المرأة من خلال تعزيز دورها بتوفير وظائف ومنح دراسية تؤكد على أهمية دورها في تنمية المجتمع.
8. ساعدت جامعة القدس المفتوحة في زيادة مشاركة المرأة في الأحزاب السياسية من خلال ما توفره الجامعة من أنشطة لتنمية قدرات ومهارات العمل القيادي والسياسي.
9. البرامج الأكاديمية التي تطرحها جامعة القدس المفتوحة هي تخصصات نادرة جداً وغير متوافرة في الجامعات المقيمة وهي ملائمة جداً لسوق العمل.
10. أتاحت جامعة القدس المفتوحة لخريجاتها فرصة حضور العديد من المؤتمرات وورش العمل العالمية الخاصة بالسيدات القياديات.

11. أن استخدام التكنولوجيا الحديثة في نظام التعليم المفتوح مثل الوسائط المساندة والتعلم الإلكتروني يثير الدافعية لدى الطلاب ويساعد على تنمية المهارات والخبرات العلمية لديهم.

التصور لتفعيل دور جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة الفلسطينية:

من خلال تحليل الواقع للأدوار التي تقوم بها جامعة القدس المفتوحة في تنمية المرأة الفلسطينية، والجوانب التي تحتاج إلى تطوير، فإن الدراسة تضع بعض الممارسات في عمليات الجامعة وإجراءاتها التي يمكن العمل عليها لتفعيل هذا الدور، وهي كالاتي:

1. على جامعة القدس المفتوحة أن تقوم بتدريب طلبتها بشكل عام والإناث بشكل خاص على كيفية ممارسة البرامج المتنوعة التي تقدمها وتوعيتهن بأهمية ممارسة هذه البرامج والاشتراك بها.

2. أن تسعى جامعة القدس المفتوحة لتأمين فرص عمل لخريجي الجامعة، وتحديد الإناث من الخريجات، وذلك بالتعاون مع المؤسسات الحكومية ومؤسسات القطاع الخاص.

3. تفعيل دور المرأة في الندوات والمهرجانات والدورات وورش العمل التي تقيمها جامعة القدس المفتوحة، والتي تساهم في تعزيز مكانة المرأة ووجودها في المجتمع المحلي.

4. أن تعمل جامعة القدس المفتوحة بشكل أكبر على تغيير الصورة السلبية التي تشكلت عن المرأة في المجتمع المحلي، من خلال طرح عدد من المقررات تدرس للطلبة كافة باختلاف تخصصاتهم والتي تظهر فيها دور المرأة بشكل عام والمرأة الفلسطينية بشكل خاص، والإنجازات التي حققتها على مر السنين بعرضها نماذج لعدد من النساء اللواتي حققن إنجازات كبيرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية، وبهدف نشر التوعية بين شرائح المجتمع بأهمية دور المرأة في تنمية المجتمع.

5. أن تعزز الجامعة من دعم امتلاك المرأة الفلسطينية للخبرات والمعارف، وأن تؤكد على ضرورة المشاركة المستمرة من قبل الجهات المعنية بشؤون المرأة من أجل تنمية مهاراتها العلمية والعملية.
6. أن ترتبط البرامج الأكاديمية والاجتماعية والسياسية التي تقدمها جامعة القدس المفتوحة للمرأة الفلسطينية بالموارد والإمكانيات المتاحة.
7. أن تعزز الجامعة مبدأ الشراكة الاجتماعية بين المؤسسات القائمة في المجتمع بتغيير النظرة السلبية للمرأة داخل المجتمع من خلال بعض الأنشطة التي تقوم بها المؤسسات وامتدادها في المجتمع.
8. أن تتبنى الجامعة الخريجات المميزات بتوفير منح دراسية عليا تكريماً لهن ولإبداعهن، وحرصاً من الجامعة على أن تأخذ الطالبة المتميزة حقها في التعليم العالي، وأن تصل من خلاله إلى أعلى المراتب.
9. العمل على توفير نوع من الدعاية والإعلان من قبل جامعة القدس المفتوحة حول ما يمكن أن تحققه المرأة الفلسطينية من إنجازات تسهم في تنمية مجتمعتها.
10. أن تساهم الجامعة في دعم المرأة الريفية من خلال تطوير بعض البرامج والتشبيك بين المؤسسات القائمة في المناطق الريفية للعمل على رفع مستوى الوعي الاجتماعي والتعليمي والسياسي للمرأة الريفية وتفعيل دورها من خلال أنشطة أو برامج تشرف عليها الجامعة بمساعدة الجمعيات أو المؤسسات المحلية.

الخاتمة:

أهمية المرأة في التنمية كجزء منها أمر لم يعد موضع شك في هذا العصر، فهي في المجتمع إما أن تكون عنصراً فاعلاً ومنتجاً أو عنصراً مستهلكاً ومعوقاً، وهذا يبرز قول أحد المفكرين: «لا يعيش مجتمع قتل نصفه». فإعطاء المرأة دوراً أكبر أو الدور الذي تستحق في التنمية يتطلب إعدادها وتسلحها بالمهارات وتطوير قدراتها واستعدادها، وليس أقدر على القيام بذلك من البدء بتعليمها وتأهيلها وتدريبها.

فهذه هي جامعة القدس المفتوحة، بدورها وإنجازاتها للمرأة ولأفراد المجتمع كلهم، منذ أن بزغ فجرها على الأرض في عام (1991)، وهي تحقق الإنجازات بل المعجزات، تهدم بيوت الجهل، وتبني بيوتاً لا عماد لها لتجعل منها بيوت العز والكرم، تعزف سيمفونية رائعة من العلم والتطور وتنمية المجتمع بفئاته وألوانه كافة وأماكن تواجد، للمرأة وللرجل، للشباب وكبير

السن، للمقتدر وميسور الحال، للمحرر وللاسير وابن الشهيد والمعوق بقدر الخالق وشأنه في خلقه. فهي جامعة يميزها عن الروتين تجاوزهها للقيود والعقبات بتوافقها مع كل الاحتياجات وظروف كل الفئات عاملين ومتفرغين، عزاباً ومتزوجين، عمالاً وصناعاً وزراعاً وحماة للوطن ساهرين، تسمو بهم جميعاً نحو الأعالي وترفع من شأنهم بتزويدهم بسلاح العلم والمعرفة، تنمية للإنسان الذي هو أعز ما نملك، بل هو ما نملك.

جامعة القدس المفتوحة، الحزن الدافئ... تنتشل المرأة من حرمانها والتمييز الذي كان ضدها إلى آفاق التطور والمعرفة، تزودها علماً وتأهيلاً وعملاً سيوفاً في وجه التخلف والتبعية نحو آفاق التطور والتقدم إلى أفق رحب في مجتمع يصونها وتسهم في بنائه وتنميته بما يتلاءم مع دورها، لتعزف على قيثارة الحياة ألحان العلم والعطاء والتربية جنباً إلى جنب مع شريك حياتها الرجل، كما كانت في محافل النضال والتحرير والبناء.

إنجازات حققتها **جامعة القدس المفتوحة** للمرأة الفلسطينية فاقت عمرها الذي لم يزد عن العشرين إلا قليلاً، حيث وصل عدد الطالبات بها «أربعون» ألفاً من كل الأعمار والظروف والبيئات في مختلف أرجاء الوطن، الذي لا يكاد يخلو قطاع من قطاعاته أو مكان من فضاءه الرحب من أفواج الخريجات اللواتي وصل عددهن إلى «ثمان وثلاثين» ألف خريجة، وانخرط معظمهن في سوق العمل بمكوناته كافة أو كرسن حياتهن لتربية الأجيال تربية سليمة، لينعكس ذلك إيجاباً في مساهمة المرأة في الارتقاء بوضعها ومكانتها، ولتسهم بفاعلية واقتدار في تطوير مؤسسة الأسرة ومؤسسات الوطن، ورفع المستوى الثقافي والاقتصادي لأسرتها في تنمية نفسها ومجتمعها وبناء مؤسسات الوطن نحو الحرية والاستقلال للوطن المسلوب.

إن **جامعة القدس المفتوحة** تحقق في كل يوم إنجازاً، وتنير في كل لحظة درب العاشقين والتائهين والحائرين، وتوفر لهم سبل العيش الكريم، توفر لهم أنماطاً متعددة للتعليم ووسائل معرفة متجددة، توظف التعليم الإلكتروني لتجاري به التقدم والتطور، وتجعل الخريجين منها بأزهى الحلل يتزينون، علماً ومعرفةً وتأهيلاً وثقة بالنفس بها يخوضون غمار الحياة بفخر واعتزاز وكفاءة واقتدار، فهي جامعة المرأة، وجامعة الرجل، وجامعة الأبناء والأحفاد، وجامعة الأسرى المحررين وذوي الشهداء، والمعوقين، وجامعة الفقراء، وجامعة المبدعين، بل صح عليها القول بأنها «**جامعة في وطن، ووطن في جامعة**»، ولكل أبناء الوطن في أرض الوطن وفي الشتات.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. الأمم المتحدة (2000). تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لعام 2000.
2. إحصاءات عمادة القبول والتسجيل (2012): جامعة القدس المفتوحة.
3. أضواء على الجامعات المفتوحة: الشبكة العربية للتعليم المفتوح (2004)، ص 4.
4. المسؤولية المجتمعية: جامعة القدس المفتوحة (2013)، منشورات جامعة القدس المفتوحة.
5. المرأة والتنمية: جامعة القدس المفتوحة (2011)، منشورات جامعة القدس المفتوحة.
6. أنور، أحمد سعيد (2002). الاتجاهات الحديثة في التعليم، الكويت: دار العلوم للنشر والتوزيع.
7. البنك الدولي (1998). التعليم في منطقة الشرق الأوسط، استراتيجيات نحو التعليم من أجل التنمية، شبكة التنمية البشرية، ص 6.
8. جمعية الدراسات النسوية التنموية الفلسطينية: غزة (2008).
9. السعدون، فؤاد حسن (2002). التعليم وخدمة المجتمع، الكويت: مكتبة العيدروس.
10. الصيادي، يحيى (2004). الاستراتيجيات العربية للتعليم عن بعد: قراءة أولية، آفاق، الشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد.
11. عبد الجواد، ليلي. (1979). تفسير دور المرأة في المجتمع، بحث في المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية، المجلد التاسع، أعداد 2-3.
12. عبد الودود، رجاء محمد. (1980). دور المرأة المصرية العاملة في التنمية الاجتماعية، بحث غير منشور في رسالة ماجستير، جامعة المنيا، كلية الآداب.
13. العطار، نادية محمد شفيق عبد السلام. (1987). دور المرأة في التنمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية.
14. الفريح، سعاد (2002). التعلم عن بعد ودوره المأمول في مؤسسات التعليم العالي والتدريب، ورقة بحثية مقدمة لندوة دور الجامعة في تنمية المهارات البشرية: رؤية مستقبلية، (18-20) آذار، جامعة الملك سعود، الرياض.
15. فهمي، عزة. (1999). تقويم مشروع تدريب المرأة الريفية في التنمية والسكان، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية، قسم التخطيط الاجتماعي.

16. منظمة العمل الدولية (المكتب الإقليمي للدول العربية) (1994) . الموارد البشرية وتحديات التنمية في جمهورية مصر العربية، الجزء الثاني، ص 64.
17. ووناكوت، مايكل (آب 2004) . توليف (مزج) أساليب التعلم المباشر والتعلم عن بعد في تعليم البالغين والتعليم الوظيفي التقني، ترجمة عزمي جزار، آفاق، الشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد.
18. اليونسكو (1996) . التعلم: ذلك الكنز المكنون، تقرير اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين، عمان، الأردن.
19. اليونسكو (2000) . تقرير عن التربية في العالم، منشورات اليونسكو، باريس.

ثانياً المراجع الأجنبية:

1. Chaudry, P. (1995) . *Women's Education in India*. New Delhi: Har-anand.
2. Chrisman, J. et al. (1998) . *Faculty Entrepreneurship And Economic Development: The Case of University of Calgary Journal Of Business Venturing*, 10 (4) ,267- 281.
3. Kanwar, A. & Taplin, M. (Editors) , (2001) . *Brave New Women of ASIA: How Distance Education Changed Their Lives*. The Commonwealth of Learning, British Columbia, Canada.
4. May, S. (2004) . *Women's Experiences as Distance Learners: Access and Technology*. [Online: [http:// www. cade- aced. ca/ en_ pub. php](http://www.cade-acad.ca/en_pub.php), Retrieved: November 9, 2004].
5. Miller, M. (2002) . *Distance Learning Education for Women*. [Online: [http:// ks. essortment. com/ distancelearnin_ rczp. htm](http://ks.essortment.com/distancelearnin_rczp.htm), Retrieved: November 9, 2004].
6. Trindade, A. & Others, (June, 2000) . *Current Development and Best Practice in Open and Distance Learning*, *International Review of Research in Open and Distance Learning*, [Online: [http:// www. irrodl. org/ content/ v1. 1/ carmo_ et_ al. html](http://www.irrodl.org/content/v1.1/carmo_et_al.html)].
7. UNESCO, (2002) . *Open & Distance Learning: Trends, Policy & Strategy Consideration*.
8. UNDP (2004) . *What is Human Development*, [Online: [www. hdr. undp. org/ hd/](http://www.hdr.undp.org/hd/)].
9. Werhun- Cherie- D. (2000) . *The Relationship of Social Dominance Orientation and Political Efficacy to Political Participation of Women*, MA, Wilfred- Laurier- University- Canada.
10. *Women's International Network News*, (1990) . *Bangladesh — Strategies for Enhancing the Role of Women*, [Online: [http:// www. undp. org/ info21/ saudi/ home. htm](http://www.undp.org/info21/saudi/home.htm)].